أثرُ السِّياقِ في التَّرجيحِ النَّحويِّ عندَ الشّنقيطيِّ في كتابِه (أضواءُ البيانِ في إيضاحِ القُرآنِ بالقُرآنِ)

The Impact of Context on Grammatical Preponderance in Al-Shanqiti's Book (Adhwaa Al-Bayan fi Idhaah al-Qur'an bil Qur'an)

د. حسين محفوظ جمعان البوري

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة سيئون.

hoseen200@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/10/20 تاريخ القبول: 2025/11/25

الملخص:

يكشف هذا البحث عناية الشَّنقيطيِّ بالسِّياق في تفسيره (أضواء البيان)؛ إذ عدَّه أحد الأسس التي اعتمد عليها في الترجيح بين أقوال النحويين، ويبيّن أَثَر هذا التَّرجيح في استجلاء المعنى القرآنيّ، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفيِّ التحليليِّ، القائم على تتبُّع المواضع في تفسير (أضواء البيان)، التي يَعْرِضُ فيها الشَّنقيطيُّ أقوالَ النَّحويِّين في الآية الكريمة المدروسة مرجِّحًا أحدَها بالسِّياق القرآنيِّ العامِّ، أو الخاصِّ للآية، أو السِّياق الخارجيّ، وأثر هذا التَّرجيح في معنى الآية.

ولعلَّ مِن أبرزِ نتائجِ هذا البحث: قوَّة أثر السِّياق في التَّرجيح بين أقوال النَّحويِّين، واختيار القول الأقرب منها؛ لأنَّ الله –تعالى– أعلمُ بمرادِه من كلامه، وقوَّة أثر السِّياق في الدَّلالة؛ إذ يبقى المعنى مستورًا حتى يكشفه السِّياق، ويستعين الشَّنقيطيُّ في ترجيحه بالسِّياق الداخليِّ والسِّياق الخارجيّ، ولا يَقتَصِر في الغالب على مرجِّحٍ واحد، بل يحشُد الأدلَّة والقرائن المرجِّحة من النُّصوص الشرعيَّة، والعلوم اللُّغويَّة، والقواعد الأصوليَّة، مما يدلُّ على سعة علمه وتَفَنُّنه.

الكلمات المفتاحية:
- أضواء البيان
- الترجيح
- السياق
- الشنقيطي
- النحوي

ABSTRACT:

This study examines Al-Shanqiṭi's reliance on contextual analysis in his Qurʾanic exegesis Adhwaa Al-Bayaan, considering context as a key principle in which he based on his preponderance among grammarians' interpretations and highlighting the impact of this preponderance in elucidating Quranic meaning. Using a descriptive analytical approach, the study traces instances in the exegesis where Al-Shanqiti demonstrates grammarians' interpretations of the Quranic verse under study prepondering one of it as per the general Quranic context, or the specific context of the verse or as per the external context, in addition to the impact of that preponderance on the meaning of the verse. The findings reveal that context plays a decisive role in

Key Words:
- **Adhwaa Al-Bayaan**
- **Preponderance**
- **Context**
- **Al-Shanqiti**
- **Grammatical**

	clarifying Qurʾanic meanings. It also guides the selection of the most accurate interpretation because Allah indeed knows the intentions of his words. The findings also show the significant impact of context on connotative meaning as it remains concealed till the context reveals it. Al-Shanqiṭi's method integrates internal and external contextual evidence and is not often constrained by one preference; he supports his interpretations by scriptural, linguistic, and jurisprudential principles, demonstrating both his comprehensive scholarship and the interpretive power of context in uncovering the intended meaning of the Qurʾanic text.

مقدِّمَة

الحمدُ للهِ وحدَه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ لا نبيَّ بعدَه، أمَّا بعدُ:

فإنَّ البحثَ في التَّفسيرِ عن طريقِ اللُّغةِ ممتعٌ ومفيدٌ وشريفٌ، وهذا الشَّرفُ إنَّما ينالُه لاتِّصاله وانتسابِه إلى كتابِ الله تعالى، والتأمُّل فيه، وكتبُ التفسيرِ عنايتُها باللُّغة أكثرُ من عنايتِها بعِلمٍ آخر، والنَّحوُ من جملةِ العلومِ اللُّغويةِ التي نالتْ حظًّا وافرًا في الدِّراساتِ القرآنيّة، ثم إنَّ مداركَ العلماءِ وفهومَهم تختلفُ، ومن هنا ظَهرَ الاختلافُ في الآراء، وتعدَّدتِ الأقوالُ في كثيرٍ من الآياتِ مِن حيثُ معناها ووجوهُ إعرابها، وعندئذٍ يحتاجُ النَّاظرُ إزاءَ هذه الأقوالِ إلى التَّرجيحِ بينها، وتمييزِ المقبولِ من المردود ، والقريبِ من البعيد، من خلالِ أسسٍ معيَّنة، وأدلَّةٍ واضحةٍ، وأدواتٍ مساعدةٍ، ومِن هذه الأدواتِ التي يُستَنَدُ عليها في التَّرجيحِ السِّياقُ.

وكتابُ (أضواء البيان في تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ) للعلاَّمةِ الشّنقيطيّ من جملةِ هذه التَّفاسيرِ التي عُنيتْ بعلومِ اللُّغة العربيَّة، واهتمَّتْ بنَقْلِ أقوالِ المعربين في بعضِ الآيات، وقد أَوْلَى العلَّامةُ الشّنقيطيُّ عنايةً كبرى بالسِّياق في اختيارِ القول الأقرب من الأقوال النَّحوية المذكورة في الآية، إضافة إلى اعتماده على السِّياق في تفسيره لكلام الله تعالى، وإيضاحه للمعاني وبيان المجمل، وتوضيح المبهم.

ومن هنا جاء هذا البحثُ كاشفًا لهذه العنايةِ ومبيّنًا لها، فحَمَل هذا العنوان:

أثر السِّياق في التَّرجيح النَّحوي عند الشّنقيطيّ في كتابه (أضْوَاء البيانِ في إيضاحِ القرآنِ بالقُرآنِ)

مشكلة البحث:

تَتَمثَّل مشكلةُ البحثِ في الحاجةِ إلى بيانِ المنهجيَّةِ المحدَّدةِ التي اتَّبعها الشّنقيطيُّ في استخدامِ السِّياقِ – بأنواعِه المختلفةِ– بوصفه أداةً رئيسةً للترجيحِ بين الأقوالِ النحويَّةِ الواردةِ في تفسيرِه (أضواء البيان) في إعرابِ

بعضِ الآيات، ودراسة الأثرِ المباشرِ لهذا الترجيحِ النحويِّ في استجلاءِ المعنى القرآنيّ اللائقِ بكلامِ اللهِ تعالى، مما يُبرزُ العلاقةَ التكامليَّةَ بين عِلمَي النحوِ والتفسير.

تساؤُلات البحث:

يسعى البحثُ إلى الإجابةِ عن التساؤلاتِ الآتية:

1. ما المفهومُ الدَّقيقُ للسِّياقِ (لغة واصطلاحًا)، وما أنواعُه التي تتلاءمُ مع تفسيرِ القرآن؟
2. ما مكانةُ السياقِ وأهميتُه في منهجِ الشّنقيطيِّ التفسيريِّ بشكلٍ عام، وفي الترجيح النحويِّ بشكلٍ خاص؟
3. كيفَ طبّقَ الشّنقيطيُّ آليةَ الترجيحِ بالسياقِ عمليًّا عندَ عرضِ الأقوال النحوية المختلفة في الآية؟
4. ما الأثرُ الدلاليُّ الناتجُ عن اختيارِ الشّنقيطيِّ لقولٍ نحويٍّ معيَّنٍ بناءً على السِّياق؟
5. هل اقتصرَ الشّنقيطيُّ على السِّياقِ مرجِّحًا وحيدًا، أمِ استعانَ بقرائنَ وأدلةٍ أخرى لدَعمِ ترجيحِه؟

أسبابُ اختيارِ الموضوعِ:

1. الرغبةُ في الرَّبطِ بين علمِ النحوِ والتفسيرِ؛ مما يبيّنُ أهميةَ النحو، ويُظهِرُ ثمرتَه وارتباطَه الوثيقَ بالمعنى.
2. الاستفادةُ من منهجِ الشنقيطيِّ الفريدِ في استخدامِ السِّياقِ القرآنيّ لحسمِ الخلافاتِ النَّحويَّةِ.
3. ندرةُ الدِّراساتِ المتخصِّصةِ –حسب نظري– التي تطرَّقتْ لهذا الجانبِ الدقيقِ في كتابِ (أضواء البيان).
4. الرَّغبةُ في إعطاءِ قيمةٍ تطبيقيَّةٍ وعمليَّةٍ لتطويرِ مهاراتِ التَّحليلِ والتَّرجيحِ لدى دارسِي التَّفسيرِ والنَّحوِ.

أغراضُ البحثِ:

1. الكشفُ عن كيفيَّةِ استعانةِ الشنقيطيِّ بالسِّياقِ في جَعْلِه أحدَ الأُسُسِ الرئيسةِ للترَّجيحِ بين الأقوال النحويَّة في تفسيرِه (أضواء البيان).
2. بيانُ أثرِ هذا الترَّجيحِ النحويِّ –المبنيِّ على السِّياقِ– في تحديدِ المعنى القرآنيّ الأليقِ بكلامِ اللهِ تعالى.
3. إبرازُ العلاقةِ الوثيقةِ والتكامليَّةِ بين علمِ النَّحو وعلمِ التَّفسيرَ، وبيانُ خدمةِ التَّحليلِ النَّحويِّ الدَّقيقِ في فَهْمِ النَّصِّ القُرآنيّ.
4. تسليطُ الضوءِ على دقَّةِ منهجِ الشِّنقيطيِّ في التفسير، وإظهارُ عُمْقِ فَهْمِه للغةِ العربيَّةِ وربطِها بالسِّياقِ القرآنيّ.
5. تحليلُ نماذجَ تطبيقيَّةٍ من (أضواءِ البيان) لإظهارِ آليَّةِ التَّرجيحِ بالسِّياقِ بشكلٍ عمليٍّ.

أهمية البحث

تكمنُ أهميَّةُ هذا البحثِ في انتمائه إلى حقلِ الأبحاثِ البَيْنِيَّةِ؛ إذ يُسهمُ في إبرازِ العلاقةِ الوثيقةِ بين علمِ النَّحو وعلمِ التَّفسيرِ، وتوضيح أثر السِّياق القرآنيّ في كونه مرجِّحًا قويًا بين الأقوال النَّحويَّة المتعدِّدة المذكورة في الآية، ويسلِّط الضوء كذلك على دقَّة منهج العلاَّمة الشّنقيطيّ في التَّفسير، وحرصِه على استجلاءِ المعنى القرآنيّ من خلال فَهْمِه العميقِ للُّغة العربيَّة وربطها بالسِّياق القرآنيّ.

منهج البحث

يعتمدُ البحثُ على المنهجِ الوصفيِّ التحليليِّ القائم على:

- تتبُّعِ المواضعِ التي رجَّح فيها الشّنقيطيّ قولًا من أقوال النَّحويين في الآية، في تفسيره (أضواء البيان)، وكان ترجيحه له بسبب السِّياق.
- تحليلِ حجج الشّنقيطيّ في ترجيح وجهٍ إعرابيٍّ على آخر، مع التَّركيز على استشهاده بالسِّياق القرآنيّ العامّ أو الخاصّ للآية.
- الرَّبطِ بين التَّرجيح النَّحويّ الذي يقدِّمه الشِّنقيطيّ والمعنى القرآنيّ المستنبط من الآية في سياقها، واستنتاج قوة تأثير السِّياق في هذا التَّرجيح.

الدِّراسات السابقة:

سبقَ هذا البحثَ جملةٌ من الدِّراساتِ والبحوثِ التي تناولتْ كتابَ (أضواء البيان)، وهذا عَرْضٌ لأقربِها للبحثِ:

- دلالة السِّياق في تفسير أضواء البيان للعلاَّمة الشّنقيطيّ دراسة موضوعيَّة تحليليَّة، للدكتور أحمد لافي المطيري، سنة 2007م وهذه الرِّسالة الغرض منها إيضاح أثر السِّياق في تحرير مدلولات الألفاظ، وبيان المعنى الإجماليّ، وفي حلِّ مشكل القرآن.

ولم يتطرَّق لأثر السِّياق في التَّرجيح بين أقوال النَّحويين إلا ما ندر.

- السِّياق وأثره في توجيه الخطاب القرآنيّ في كتاب (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشّنقيطيِّ، وهي رسالة ماجستير من إعداد الطالب: إسماعيل يوسف. للعام 1433هـ، وهذه الرِّسالة لم تذكر أسس التَّرجيح، وإنَّما كانت عنايتها السِّياق وتوجيهه للخطاب.

- أسس اختيار وترجيح الشّنقيطيّ في مسائل إعراب القرآن الكريم في تفسيره (أضواء البيان)، بحث منشور في المجلَّة الإلكترونية الآسيويَّة للدِّراسات العربيَّة، للباحثَين: سيد شهريزدان والحاج محمد سيمان، العدد 1 المجلد 3، ديسمبر 2019. وتحدَّث البحث عن معرفة الأسس في اختيارات الشّنقيطيّ وترجيحاته، وتأثُّرها بفكرته اللغويَّة، والعقديَّة، والفقهيَّة، والتفسيريَّة، ولم يذكر السِّياق أساسًا من أسس التَّرجيح

ويختلف هذا البحث عن هذه البحوث والدِّراسات، من حيثُ كونُه يركِّزُ على دراسة أثر السِّياق واعتماده أساسًا من أسس التَّرجيح بين أقوال المعربين عند الشِّنقيطيّ في تفسيره وطبيعة البحث اقتضت أن يقسم على قسمين: القسم الأوَّل: الدِّراسة النَّظريَّة، والقسم الآخر:الدِّراسة التطبيقيَّة. يسبقهما مقدِّمة، ويتلوهما خاتمة لأبرز النَّتائج، وقائمة المصادر.

المبحث الأوَّل: الدِّراسة النَّظريَّة .

المطلب الأوَّل: مفهوم السِّياق لغة واصطلاحًا

السِّياق لغة: مأخوذ من السَّوق، قال الأزهريُّ: "قَالَ اللَّيْث: السَّوْقُ مَعْرُوف، يَقُول: سُقْناهم سَوْقًا، وَتقول: رأيتُ فلَانًا يَسُوق سوقًا، أَي: يَنزع نَزْعًا، يَعْنِي الموتَ، ... وتساوَقتِ الإبلُ تَسَاوقًا: إذا تَتَابَعَتْ، والمساوقة: المتابعة"[1]، وقال ابن فارس: "السِّينُ والواوُ والقافُ أصلٌ واحدٌ، وهو: حدوُ الشيءِ، يُقالُ: سَاقَه يَسُوقُه سَوقًا، والسِّيقة: ما اسْتِيقَ من الدَّواب"[2]، ويطلق السِّياق على الصَّداق والمهر، فـ"ساقَ إليها الصَّداقَ والمهرَ سِياقًا، وأَساقَه، وإن كان دراهمَ أَو دنانير؛ لأنَّ أَصلَ الصَّداقِ عندَ العربِ: الإبلُ وهي التي تُساقُ، فاستُعملَ ذلك في الدرهمِ والدينارِ وغيرِهما، وساقَ فلانٌ من امرأتِه، أي: أعطاها مهرَها، والسِّياقُ: المهرُ"[3] فالمعنى اللُّغويُّ يدلُّ على التَّتابع والتَّوالي والاتِّصال والتَّسلسل. ويقول الزمخشريُّ: "يَسُوقُ الحديثَ أحسنَ سِياقٍ، وإليكَ يُسَاقُ الحديثُ، وهذا الكلامُ على مَسَاقِه إلى كذا، وجِئتُك بالحديثِ على سوقه: على سرده"[4]، فالزمخشري هنا نحا بالسياق منحًى مجازيًّا، فذكر سياق الحديث، وهذا المعنى أقرب ما يكون إلى المعنى الاصطلاحي.

السِّياق اصطلاحًا:

استعملَ كثيرٌ من المتقدِّمين هذا المصطلح، وَوَرَدَ في كتبهم، غير أنَّه مع كثرة وروده عندهم لم يضعوا له حدًّا وافيًا، شأنه شأن غيره من المصطلحات التي تظهر عندهم بكثرة من غير وَضْع حدٍّ لها، في حين سعى بعض الباحثين المعاصرين في وضع حدٍّ للسِّياق اصطلاحًا، وتنوَّعت عباراتهم في ذلك، وهذه بعض العبارات في تعريف السِّياق في علم النَّصِّ، وفي الدِّراسات القرآنيّة:

أولًا – السِّياق في علم النَّصِّ:

- يرى تمَّام حسَّان أنَّ "المقصود بالسِّياق: التَّوالي، ومن ثمَّ يُنظَر إليه من ناحيتين، أولاهما: توالي العناصر التي يتحقَّقُ بها التَّركيب والسَّبك، والسِّياق من هذه الزَّاوية يسمى: (سياق النَّصِّ)، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه النَّاحية يسمى: (سياق الموقف)"[5].
- ويذكر أولمان أنَّ السِّياق هو: "النَّظمُ اللَّفظيُّ للكلمة، وموقعها من ذلك النَّظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إنَّ السِّياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقيَّة السَّابقة واللاَّحقة للكلمة فحسب، بل القطعة كلَّها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه – كلَّ ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغويَّة المتعلِّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهمِّيتها البالغة في هذا الشَّأن"[6].

ثانيًا– السِّياق في الدِّراسات القرآنيّة:

- السِّياق القرآنيّ: هو "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنيّة، لتبلغ غايتها الموضوعيَّة في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"[7]
- أو هو: "بيان الجملة أو الكلمة القرآنيّة، منتظمة مع ما قبلها وما بعدها"[8].

ولعلَّ أقرب تعريف للسِّياق في نظري، هو تعريف الشهراني له حين قال: "هو ما يحيط بالنَّصِّ من عوامل داخليَّة أو خارجيَّة، لها أثر في فهمه، من سابقٍ أو لاحقٍ به، أو حالِ المخاطِب والمخاطَب، والغرضِ الذي سِيق له، والجوِّ الذي نزل فيه"[9].

وعلى هذا التعريف يدخل في السِّياق القرآنيّ كلُّ ما له علاقة بالنَّصِّ من داخله: كالسَّابق واللَّاحق، والإجمال في موضع والتَّفصيل في موضع آخر، والوجوه والنَّظائر التي ترد هنا وهناك في القرآن الكريم، ويدخل في مفهوم السِّياق كذلك كلُّ ما له علاقة بالنَّصِّ من خارجه: كأسباب النُّزول، والمكِّيّ والمدنيّ، وغير ذلك.

المطلب الثاني: أهميَّة السِّياق:

تكمن أهميَّة السِّياق من حيث النَّظرة الشَّاملة للنَّصِّ سواء أمن داخله كانت أم من خارجه؟، أمَّا من داخله فكلُّ مكوِّنٍ لغويٍّ للنَّصِّ هو سياق، ويدخل في ذلك السِّباق واللِّحاق، وأمَّا من خارج النَّصِّ فكلُّ الملابسات التي لها ارتباط بالنَّصِّ تعدُّ سياقًا؛ ولذا فإنَّ تَجَاهُل ما يدلُّ عليه السِّياق في فَهْم نصوص القرآن الكريم يوقع المرء في التَّخبُّط والاضطراب، وربما فهمَ القصد على غير وجهه، فضَلَّ عن السبيل وأضلَّ ، وهذا يترتَّب عليه أنَّ ما

من متكلم إلَّا وله قصد يفهمه السَّامع بما تدلُّ عليه الألفاظ في المقام الأوَّل من حمولات معرفية، ثمَّ بما تعنيه هذه الألفاظ مجتمعة على نمط من الترتيب والتتابع، ثم بالحال الذي قيل فيه الكلام، والملابسات المحيطة به.

يقول الإمام الشاطبي مبيِّنًا أنَّ السِّياق عُمدة في فهم كلام الله – عزَّ وجل–: "لا محيص للمتفِّهم عن ردِّ آخر الكلام على أولِّه، وأولّه على آخره؛ وإذ ذاك يحصل مقصود الشَّارع في فهم المكلَّف، فإنْ فرَّق النَّظر في أجزائه فلا يتوصَّل به إلى مراده، ولا يصحُّ الاقتصار في النَّظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض"[10]، فينبغي النَّظر في السِّياقات عامَّة التي لها ارتباط وعلاقة بذلك الموضع حتى يظهر القصد، ويتَّضح المعنى، ولا يُكتفَى بالنَّظر الجزئيِّ في بعض السِّياقات وإهمال الأخرى، إذ هذا من النَّظر القاصر.

ومما يبيِّن أهميَّة السِّياق كذلك أنَّه "يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العامِّ، وتقييد المطلق، وتنوع الدَّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدَّالَّة على مراد المتكلِّم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"[11].

إنَّ السِّياقَ مرتبط بالقرآن نفسه من حيث إنَّه تفسير للقرآن بالقرآن، وهو – بهذا الاعتبار– يُعَدُّ أعلى درجات التفسير؛ لأنَّه تفسير الآية بما تضمَّنته من الدَّلائل والقرائن، وبحسب مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

وتأمَّل قول نبينا – صلى الله عليه وسلم– لعائشة – رضي الله عنها– حين سألت عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون 60] قالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا، يا بنت الصديق، ولكنَّهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدَّقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون 60] [12].

فالنَّبيّ – صلى الله عليه وسلم – بيَّن معنى الآية من سياقها؛ وذلك لاستدلاله بآخر الآية على معنى أولها.

ومما يبيِّن أهميَّة السِّياق أنَّه يُعدُّ عند العلماء والمفسِّرين أساسًا في فَهم الكلام، وأصلًا يُحتَكَم إليه في كشف المعنى، وفي حلِّ الخلاف والإشكال، فهو من أعظم القرائن في التَّرجيح، يقول العزُّ بن عبد السلام: "السِّياق مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكلُّ ذلك بعُرف الاستعمال، فكلُّ صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحًا، وكلُّ صفة وقعت في سياق الذمِّ كانت ذمًّا، فما كان مدحًا بالوضع فوقع في سياق الذَّمِّ صار ذمًّا واستهزاء وتهكُّمًا بعُرْفِ الاستعمال. مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدُّخان: 49] أي: الذَّليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذَّمِّ، وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:87] أي: السَّفيه الجاهل؛ لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب:67]؛ لوقوعه في سياق ذمِّهم بإضلال الأتباع، وأمَّا ما يصلح للأمرين فيدلُّ على

المراد به السِّياق، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] أراد به: عظيمًا في حسنه وشرفه؛ لوقوع ذلك في سياق المدح"[13]

إذا كانت هذه أهميَّة السِّياق في توضيح المعنى وكشفه وبيانه، فإنَّ السِّياق يُعَدُّ أحد الأسس والقرائن التي يُعتمَد عليها في التَّرجيح بين الأقوال المختلفة في الآية، يقول ابن جزي الكَلبي: "من أوجه التَّرجيح : أنْ يشهد بصحَّة القول سياق الكلام، ويدلُّ عليه ما قبله وما بعده"[14] فالسِّباق واللّحاق من أوجه التَّرجيح بين الأقوال، ومن الأمور التي تعين على كشف المعنى عند الإشكال.

فليس الغرض ذكر كلِّ ما يحتمله اللَّفظ من معنى وإعراب؛ إذ بعض هذه الاحتمالات لا تتوافق ومقصود القرآن وبلاغته، لذا فإنَّ "مَنْ تدبَّرَ القرآن، وتدبَّرَ ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن تبيَّن له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السَّداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرَّد ما يحتمله اللَّفظ المجرَّد عن سائر ما يبيّن معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لاسيَّما كثير ممَّن يتكلَّم فيه بالاحتمالات اللغويَّة، فإنَّ هؤلاء أكثر غلطًا من المفسِّرين المشهورين؛ فإنَّهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسِّرون، وأعظم غلطًا من هؤلاء وهؤلاء مَن لا يكون قصدُه معرفةَ مرادِ الله؛ بل قصده تأويل الآية بما يدفع خصمَه عن الاحتجاج بها وهؤلاء يقعون في أنواعٍ من التحريف"[15]

وأما نظريَّة السِّياق في نظر الباحثين المعاصرين فإنها تُعَدُّ عماد علم الدَّلالة، فهي "تشكِّل – بلا شك – ركنًا هامًّا من أركان علم الدلالة الآن؛ لأنَّ التحليل اللُّغوي للنّصِّ أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفيَّ، أو معنى ظاهر النَّصِّ، وهو معنى فارغ تمامًا من محتواه الاجتماعي والتَّاريخي، ومنعزل تمامًا عن كلِّ ما يحيط بالنَّصِّ من القرائن التي تحدِّدُ المفدراسة النُّصوص من خلال سياقها لها أثر كبير في فهم المعنى؛ ذلك لأنَّ مقتضى البلاغة ارتباطُ الكلام بسابقه ولاحقه ارتباطًا يحوي المعنى ويضمُّه من دون انفصال أو تشتُّت، بل مع حسن انتقال وتدرُّج في مراقي المباني والمعاني، ولكتاب الله وكلامه من هذه المعاني أسماها وأوفاها؛ لأن الله – تعالى – يقول: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ [الزمر: 23].

فدلالة السِّياق جوهريَّة لفهم أيِّ نصٍّ، سواءٌ كان ذلك النص إلهيًّا أو نبويًّا أو من سائر الكلام، إلَّا أنَّ دلالة السِّياق القرآنيّ أبلغ أثرًا من كلِّ سياق؛ لأنَّ القرآن العظيم لا يطرقه احتمال الخطأ والوهم، بخلاف غيره، فقد أصابه حظُّه من ذلك.

المطلب الثَّالث: أنواعُ السِّياق

ذُكر للسِّياق تقسيمات عدَّة، وكلُّ باحث يقسم السِّياق بما يتوافق مع بحثه ومجاله، بل تجد في المجال الواحد اختلافًا في تقسيمات السِّياق فيه من باحث لآخر، فاللُّغويون المحدثون تباينتْ تقسيماتهم للسِّياق بين الإجمال والتفصيل[16]، فمنهم من جعل السِّياق نوعين: أحدهما: السِّياق اللُّغوي، والآخر: السِّياق غير اللُّغويِّ أو

الاجتماعيُّ، ومنهم من جعل السِّياق ثلاثة أنواع: أولها: السِّياق اللُّغويُّ، والثاني: سياق المقام، والثالث: السِّياق الثَّقافيُّ، ومنهم من جعل السِّياق أربعة أنواع، فزاد على التقسيم الثلاثيِّ السابق السِّياق العاطفيّ.

وأما الدِّراسات القرآنيّة التي تناولت السِّياق بحثًا ودراسة فهي كذلك تعدَّدتْ تقسيماتها للسِّياق، فمنهم من يذكر للسِّياق أربعة أنواع، هي: الأوَّل: سياق القرآن، والثاني: سياق السُّورة، والثالث: سياق النَّصِّ أو المقطع أو الآيات، والرابع: سياق الآية.

ومنهم من جعل السِّياق ستَّة أنواع [17]:

1- السِّياق المكانيّ: ويعني سياق الآية بين الآيات داخل السُّورة، وموقعها بين السابق من الآيات واللاحق، أي: مراعاة سياق الآية في موقعها من السُّورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسِّياق الذي وردت فيه، ولا تُقطَع عما قبلها وما بعدها.

2- السِّياق الزمنيّ للآيات أو سياق التَّنزيل، ويعني: سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النُّزول.

3- السِّياق الموضوعيّ، ومعناه: دراسة الآية أو الآيات التي يَجمعُها موضوعٌ واحد، سواء كان الموضوع عامًّا: كالقصص القرآنيّ، أو الأمثال، أو الأحكام الفقهيَّة، أو كان خاصًّا: كالقصَّة المخصوصة بنبيٍّ من الأنبياء، وحُكمٍ من الأحكام، أو غير ذلك، وتتبُّع مواقعها في القرآن الكريم كلّه.

4- السِّياق المقاصديّ، ومعناه: النَّظر إلى الآيات القرآنيّة من خلال مقاصد القرآن الكريم، والرؤية القرآنيّة العامَّة للموضوع المعالَج.

5- السِّياق التاريخيّ بمعنييه:

العامّ: وهو سياق الأحداث التاريخيَّة القديمة التي حكاها القرآن الكريم، والمعاصرة لزمن التَّنزيل.

والخاصّ: وهو أسباب النُّزول.

6- السِّياق اللُّغويّ: وهو دراسة النَّصِّ القرآنيّ من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض، والأدوات المستعملة للرَّبط بين هذه الألفاظ، وما يترتَّب على تلك العلائق من دلالات جزئيَّة وكلّيَّة.

وهذا التقسيم الأخير يشمل تقسيم السِّياق الرباعيّ السَّابق؛ إذ لا تَخرج تلك الأنواعُ الأربعةُ عن السِّياق المكانيّ والسِّياق الموضوعيّ.

ويبدو أنَّ الأقرب لتقسيم السِّياق القرآنيّ هو تقسيمه على قسمين [18]:

الأوَّل – السِّياق الداخليُّ: ويُقصَد به العناصر اللغويَّة داخل النَّصّ: كالسِّباق واللّحاق، والوجوه والنظائر، والإجمال والتفصيل، ومنه: سياق الآية، وسياق السُّورة، وسياق القصَّة أو المقطع، والسِّياق العامّ.

الثاني– السِّياق الخارجيُّ: ويُقصَد به: ما يحيط بالنَّصّ من عوامل خارجيَّة، لها أثرٌ في فَهمه، كأسباب النُّزول، والمكيّ والمدنيّ.

إذن فالسِّياق إطار عام تنتظم فيه عناصِر النَّصِّ ووحداته اللغويَّة، ومقياس تتَّصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغويَّة وتداوليَّة ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يقدِّمها النَّصُّ للقارئ، ويضبط السِّياق حركات الإحالة بين عناصر النَّصِّ، فلا يُفهَم معنى كلمة أو جملة إلا بوَصْلِها بالَّتي قبلها أو بالَّتي بعدها داخلَ إطار السِّياق، وكثيرًا ما يردُّ الشَّبَه بين الجُمَل والعِبارات مع بعضِ الفوارق التي تميِّزُ بينها، ولا نستطيع تفسيرَ تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السِّياق اللُّغويِّ، ولَحْظِ الفوارقِ الدقيقة التي طرأَتْ بين الجمل. فكلُّ مساق للألفاظ يجرُّ ضرْبًا من المعنى بجزئيَّاته وتفاصيله[19].

المطلب الرابع: عناية الشِّنقيطيّ بالسِّياق في تفسيره

يُعَدُّ السِّياق ركيزة أساسيَّة في منهج الشيخ محمَّد الأمين الشّنقيطيّ في تفسير القرآن، وعنوان الكتاب يدلُّ على ذلك، فهو: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، فهذا النوع من أنواع التفسير الذي اختاره الشّنقيطيّ في تفسير كلام الله وإيضاحه، يُعنَى بدرجة أساسيَّة ببيان معاني القرآن من سياقات القرآن، وإنَّما اختار هذه الطريقة أنْ يفسِّر القرآن بالقرآن: "لإجماع العلماء على أنَّ أشرفَ أنواع التفسير وأجلَّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا"[20].

ويرى الشّنقيطيّ أنَّ فَهمَ الآية القرآنيّةِ لا يتمُّ بشكل صحيح إلا بوضعها في سياقها القرآنيّ الكامل، سواء كان ذلك من خلال الآيات التي سبقتها ولحقتها في السُّورة نفسها، أو من خلال آيات أخرى في القرآن تتناول الموضوع نفسَه، أو الاستعمال والتركيب اللُّغويّ. وتبدو أهميَّة السِّياق عند الشّنقيطيّ، وعنايته به من خلال استعماله في الآتي:

- تحديد المعاني: إذ يساعد السِّياق في تحديد المعنى الدقيق للكلمة أو الجملة القرآنيّة، ويمنع الوقوع في الأخطاء التي قد تنتج عن فهم اللَّفظ بمَعْزَل عن محيطه النَّصِّي، ولا سيَّما في الألفاظ المشتركة، سواء في الاسم أو الفعل أو الحرف، يقول الشِّنقيطيُّ : "اعلم – وفقني الله وإيَّاك لما يحبُّه ويرضاه– أنَّ مِن أنواع البيان التي تضمَّنها هذا الكتاب المبارك: بيان الإجمال الواقع بسبب اشتراك، سواء كان الاشتراك في اسم أو فعل أو حرف، ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في اسم: قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:228]؛ لأنَّ القُرءَ مشترك بين الطُّهر والحيض، وقد أشار تعالى إلى أنَّ المراد بأقراء العدَّة الأطهار بقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1] فاللَّام للتوقيت، ووقت الطَّلاق المأمور به فيه في الآية الطُّهر، لا الحيض، وتدلُّ له قرينة زيادة التاء في قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:228]؛ لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهار، فلو أراد الحيضات لقال: ثلاث قروء، بلا هاء؛ لأنَّ العرب تقول: ثلاثة أطهار، وثلاث حيضات"[21]، فهذا اللَّفظ المشترك (القُرء) ذُكِرَ في سياق الطَّلاق، وهناك سياق آخر في الطَّلاق يكشف المعنى ويوضحه، وإن لم يكن في السُّورة نفسها بل في سورة أخرى، فاستعان به الشّنقيطيُّ ليكون أحد أسباب التَّرجيح

للمعنى الذي اختاره، فضلًا عن المرجّحات الأخرى المساندة، لكنَّه يجعل التَّرجيحَ بالسِّياق هو المقدَّم، وسائر المرجّحات قرائن تزيد مِن قوَّة ذلك السَّبب.

- ربط الآيات بعضها ببعض: فالشِّنقيطيّ يرى أنَّ القرآن الكريم يفسِّر بعضه بعضًا، والسِّياق هو الأداة الرئيسة لإظهار هذا الترابط بين الآيات، ممَّا يكشف عن مقاصد القرآن وأغراضه، يقول الشّنقيطيُّ: "ومن هذا القبيل أنْ يُذكَر وقوع أمر من غير تعرُّض إلى كونه وقع أولًا بتنجيز أو تعليق، ثم بيّن ذلك في موضع آخر، ومثاله: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [البقرة: 34]، فإنَّه لم يبيّن هنا: هل ذلك الأمر بالسُّجود وقع أولًا بتنجيز أو تعليق؟ وقد بيّن في (الحِجْر) و(ص) أنه وقع أولًا معلَّقًا، قال في (الحِجْر): ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحِجْر: 28-29] وقال في (ص): ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: 71-72]"[22].

فالشّنقيطيُّ ينظر إلى القرآن الكريم بوصفه سياقًا واحدًا، يربط بعضه بعضًا، فإنْ ذُكِر المعنى في موضع مختصرًا، فإنَّه قد يُذكَر في موضع آخر مبسوطًا، وعلى المفسِّر الالتفات إلى ذلك.

- توضيح المبهمات: فيُسهِم السِّياقُ في توضيح مرجِع الضمائر، وتحديد المخاطَب، وفَهم سبب نزول الآيات، مما يُعطي التفسير شموليَّة ودقَّة. ومن ذلك قول الشّنقيطيّ في مرجع الضمير في كلمة (بينهم) في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: 52]: "الضمير في قوله (بينهم) قيل: راجع إلى أهل النار. وقيل: راجع إلى أهل الجنة وأهل النار معًا. وقيل: راجع للمشركين وما كانوا يعبدونه من دون الله. وهذا هو أظهرها لدلالة ظاهر السِّياق عليه؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ [الكهف: 52]، ثمَّ قال مخبِرًا عن العابدين والمعبودين: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: 52]، أي: مَهلِكًا يَفصِل بينهم، ويحيط بهم، وهذا المعنى كقوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ [يونس: 28] ، أي: فرَّقنا بينهم"[23]. فالسِّياق كاشف ومحدِّد لمرجع الضمير هنا عند الشِّنقيطيّ كما لا يخفى، والقرآن الكريم يأتي بذكر المعنى مجملًا في موضع ومفصَّلًا في موضع آخر، فليزم حينئذٍ حمل المجمل على المفصل.

- ردّ الأقوال الضعيفة: فيستعين الشّنقيطيُّ بالسِّياق في ردِّ الرِّوايات الضَّعيفة، أو الإسرائيليَّات التي لا تتَّفق مع السِّياق القرآنيّ العامّ، أو مع أصول التفسير، وهذه أداة قوية في التَّرجيح بين الأقوال، يقول الشّنقيطيّ:

"ومن أنواع البيان التي تضمَّنها هذا الكتاب المبارك: أنْ يقول بعض العلماء في الآية قولًا، ويكون في نفس الآية قرينة تدلُّ على بطلان ذلك القول، ومثاله: قول أبي حنيفة – رحمه الله –: إنَّ المسلم يُقتَل بالكافر الذمِّيِّ مثلًا[24]، قائلًا: إنَّ ذلك يُفيدُه عموم النفس بالنفس في قوله: (النفس بالنفس) في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية [المائدة:45]؛ فإنَّ قوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ الآية [المائدة:45] قرينة على عدم دخول الكافر؛ لأنَّ صدقته لا تكفِّر عنه شيئًا؛ إذ لا تنفع الأعمال الصالحة مع الكفر"[25].

وهكذا نجد الشّنقيطيَّ أحيانًا يرفض بعض ما قيل في أسباب النزول لضعفه، ويَستنبط من السِّياق ما يؤيِّد هذا الضعف، ومن ذلك إنكاره قصَّة الغرانيق الَّتي قِيل فيها: إنَّ النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قرأ سورة النَّجم بمكة، فلمَّا بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: 19 –20] ألقى الشَّيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وأنَّ شفاعتهن لتُرتَجَى، فلمَّا بلَغ آخر السُّورة سجد، وسجد معه المشركون والمسلمون، وقال المشركون: ما ذَكر آلهتنا بخيرٍ قبل اليوم، وشاع في الناس أنَّ أهلَ مكةَ أسلمُوا بسبب سجودهم مع النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم –، حتى رَجَع المهاجرون من الحبشة ظنًّا منهم أنَّ قومَهم أسلموا، فوجدوهم على كُفرِهم، فالشّنقيطيّ ضعَّفها وأنكرها بحجة أنَّ في سياق الآيات ما يدلُّ على ضعفها وإنكارها؛ "لأنَّ النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم – قَرَأ بعد موضع الإلقاء المزعوم بقليل قوله تعالى، في اللَّات والعزَّى، ومناة الثالثة الأخرى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: 23] وليس من المعقول أنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – يسبُّ آلهتهم هذا السبَّ العظيم في سورة النَّجم متأخرًا عن ذِكرِه لها بخير المزعوم، إلَّا وغضبوا، ولم يسجدوا؛ لأنَّ العِبرة بالكلام الأخير" ويمضي في جَمْع أدلَّة أخرى وسياقات من القرآن الكريم تدلُّ على بطلانها فيقول: "مع أنَّه قد دلَّت آيات قرآنيَّة على بطلان هذا القول، وهي الآيات الدالة على أنَّ الله لم يجعل للشيطان سلطانًا على النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، وإخوانه من الرُّسل، وأتباعهم المخلصين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 99–100]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحِجْر: 42]، وقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ ...﴾ الآية [سبأ: 21]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ...﴾ الآية [إبراهيم: 22]، وعلى القول المزعوم أنَّ الشَّيطان ألقى على لسانه – صلى الله عليه وسلم – ذلك الكفر البواح، فأيُّ سلطان له أكبر من ذلك.

ومن الآيات الدالة على بطلان ذلك القول المزعوم قوله تعالى في النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم –: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4] وقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: 221 -222]، وقوله في القرآن العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحِجْر: 9] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:41 - 42] فهذه الآيات القرآنيّة تدلُّ على بطلان القول المزعوم"[26].

من هنا نجد السِّياق عند الشِّنقيطيّ هو القاعدة المتينة التي تَحفظُ فَهْمَ المفسِّر من الزَّلل، وتضمَنُ وُصولَه إلى المعنى الصَّحيح الَّذي أراده الله تعالى في كتابه.

المبحث الثاني: الدِّراسة التطبيقيَّة

وفي هذا المبحث نكشفُ عن بعضِ المواضع التي تُبرزُ لنا أَثَرَ السِّياق في التَّرجيح النَّحويِّ بين أقوال المعربين عند الشِّنقيطيّ في تفسيره (أضواء البيان)، ونبيِّن أثر هذا التَّرجيح في المعنى:

الموضع الأوَّل: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة: 7]

ناقش الشِّنقيطيُّ هنا احتمالين للواو في قوله تعالى: (وعلى أبصارهم): الأوَّل: أنْ تكون عاطفة على ما قبلها، ويكون الجار والمجرور (وعلى أبصارهم) متعلِّقًا بما تعلَّق به الجار والمجرور قبله (وعلى سمعهم) وهو الفعل (ختم). الاحتمال الثاني: أنْ تكون الواو استئنافيَّة، وحينئذٍ لا تتعلَّق بما تعلَّقَ به الجار والمجرور السابق (وعلى سمعهم)، بل تتعلَّق بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ (غشاوة)، وسياق الآية لم يحدِّد أيَّ الاحتمالين.

وهنا نجد الشِّنقيطيَّ يرجِّح الاحتمال الثاني؛ لأنَّ هناك سياقًا آخر يحدِّد هذا الاحتمال، فيقول: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ الآية [البقرة: 7] لا يخفى أن الواو في قوله: (وعلى سمعهم وعلى أبصارهم) محتملة في الحرفين: أنْ تكون عاطفة على ما قبلها، وأنْ تكون استئنافية، ولم يبيِّن ذلك هنا، ولكن بيَّن في موضع آخر أنَّ قوله: (وعلى سمعهم) معطوف على قوله: (على قلوبهم)، وأنَّ قوله: (وعلى أبصارهم) استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو (غشاوة)، وسوَّغ الابتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها، ولذلك يجب تقديم هذا الخبر؛ لأنه هو الذي سوَّغ الابتداء بالمبتدأ... فتحصَّل أنَّ الختم على القلوب والأسماع، وأنَّ الغشاوة على الأبصار، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: 23]، والختم: الاستيثاق

من الشيء حتى لا يَخرُج منه داخلٌ فيه، ولا يَدخُل فيه خارجٌ عنه، والغشاوة: الغطاء على العين يَمْنعُها من الرُّؤية"[27].

وقد رجَّح الشِّنقيطيُّ هذا الوجه انطلاقًا من السِّياق، ورجَّحه قبله غيرُ واحد من المفسِّرين، يقول الزمخشريُّ: "فإنْ قلت: اللَّفظ يَحتَمِل أنْ تكون الأسماع داخلةً في حُكمِ الختم وفي حُكمِ التَّغشية، فعلى أيِّهما يُعوَّل؟ قلت: على دخولها في حُكمِ الختم؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: 23]؛ ولِوَقْفِهم على سَمْعِهم دون قلوبهم"[28]، فدلَّ السِّياق على أنَّ الختم متعلِّق بالقلوب والأسماع، والغشاوة متعلِّقة بالأبصار؛ لأنَّ الغشاوة تناسب الأبصار لا الأسماع؛ ولأنَّ الختم يناسب الأسماع كما يناسب القلوب؛ إذ كِلاهما يُشبَّه بالوعاء، ويُتَخيَّل فيه معنى الغلق والسَّدِّ ، فإنَّ العرب تقول : استكَّ سمعُه، ووقر سمعه وجعلوا أصابعهم في آذانهم[29]. وأمَّا الختم يقول الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [الشورى: 24]

ثم إنَّ القلوب والمَسامِع لمَّا كانت مخفية كان استعمال الختم لها أولى، والأبصار لمَّا كانت بارزة، وإدراكها متعلِّق بظاهر، كان الغشاء لها أليق. والختم على القلوب يكون بتَغْطِيتِها بحيثُ لا يُؤثِّر فيها الإنذار، ولا ينفذ إليها الحق، وأما الختم على السَّمع فيكون بسدِّ مواضعه. والله أعلم.

وعلى هذا فالوقف على قوله: (وعلى سمعهم) تامٌّ، وما بعده كلام مستقلٌّ، فيكون الطَّبْعُ على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار كما قاله جماعة [30].

الموضع الثاني: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: 78]

اختلف العلماءُ في الاستثناء في هذه الآية أمتصل هو أم منقطع؟ وهذا الخلاف مبني على معنى الأمانيّ، لأنَّ من المفسِّرين مَنْ قال: إنَّ الأمانيّ هنا بمعنى: القراءة، وهذا يجعل الاستثناء متصلًا. ومنهم مَنْ قال: إنَّ الأمانيّ هنا هي: الأمانيّ الباطلة التي يتمنَّاها أهل الكتاب، وحينئذٍ سيكون الاستثناء منقطعًا.ويبدو أنَّ الشّنقيطيّ يَميلُ إلى الثاني؛ لأنَّ سياق الآية لا يتناسب مع الأوَّل، في حين أنَّ هناك سياقات أخرى في القرآن الكريم تقوِّي الوجه الثاني، لذا يقول: "اختلف العلماء في المراد (بالأمانيّ) هنا على قولين:

أحدهما: أنَّ المراد بالأمنيَّة القراءة؛ أي: لا يعلمون من الكتاب إلَّا قراءة ألفاظ دون إدراك معانيها. وهذا القول لا يتناسب مع قوله: (ومنهم أُمِّيُّون)؛ لأنَّ الأُمِّيَّ لا يقرأ.

الثاني: أنَّ الاستثناء منقطع، والمعنى: لا يعلمون الكتاب، لكنْ يتمنَّون أمانيّ باطلة، ويدلُّ لهذا القول: قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ [البقرة: 111]، وقوله: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [النساء: 123]" [31]، فكلّ هذه السِّياقات تؤيِّد القول الثاني، وعلى هذا سيكون الاستثناء منقطعًا. واستدل مَنْ قال: إنَّ الأمانيّ هنا: القراءة بسياق قرآنيٍّ آخر، وهو

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: 52] وتمنَّى هنا: بمعنى قرأ وتلا، على قول أكثر المفسِّرين[32].

ولا شكَّ أنَّ هناك فرقًا بين السِّياق الذي استدل به الشّنقيطيُّ والسِّياق الذي استدلَّ به أصحاب القول الآخر، فاستدلال الشّنقيطيّ بسياق في الحكاية عن أمانيّ أهل الكتاب، في حين أنَّ السِّياق الآخر ليس في الحكاية عن أهل الكتاب، وإنّما هو سياق خارجي في معنى تلاوة الرُّسل للكتب المنزلَّة عليهم.

الموضع الثالث: يذكر الشّنقيطيُّ في (لو يعمَّر) من قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة:97] وجهين، فيقول: "الأوَّل: وهو قول الجمهور أنَّها حرف مصدريٌّ، وهي وصلَتُها في تأويل مفعول به لـ (يودُّ)، والمعنى: (يودُّ أحدهم) أي: يتمنَّى تعمير ألف سنة، و(لو): قد تكون حرفًا مصدريًّا لقول قتيلة بنت الحارث[33]:

ما كانَ ضرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفَتَى وهو المغيظُ المحْنَقُ

أي: ما كان ضرَّك مَنُّه.

وقال بعض العلماء: إنَّ (لو) هنا هي الشرطية، والجواب محذوف وتقديره: لو يعمَّر ألف سنة لكان ذلك أحبَّ شيء إليه، وحَذْفُ جواب (لو) مع دلالة المقام عليه واقعٌ في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في القرآن قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [العاديات:5] أي: لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر، وقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ [الرعد: 31] أي: لكان هذا القرآن، أو لكفرتم بالرحمن، ومنه في كلام العرب قول الشاعر[34]:

فأُقْسِمُ لَوْ شيءٌ أتانا رَسُولُه سِواكَ ولكِنْ لم نَجِدْ لك مَدْفَعا

أي: لو شيء أتانا رسوله سواك لدفعناه"[35].

فيستدلُّ على القول الثاني بسياقات من القرآن الكريم حُذِفَ منها جواب الشرط لـ (لو)، ومجيء (لو) مصدريَّة بعد ما يُفهِم التمني، كالفعل (ودَّ – يودُّ)، كما في هذا الموضع قال به جماعة من النَّحويين، ولكن ليس جمهورهم –كما قد يفهم من عبارة الشّنقيطيّ السابقة –؛ إذ يرى جمهور النَّحويين أنَّ (لو) شرطية حتى في هذا الموضع[36]، وهو القول الثاني الذي ذكره الشّنقيطيّ.

وأصل (لو) حرف شرط للماضي أو للمستقبل، وعلى ذا فأَصْلُ موقِعِه مع الفعل (يودُّ) ونحوه أنَّه جملة مبيِّنة لجملة (يودُّ) على طريقة الإيجاز، والتقدير في مثل هذا: يودُّ أحدهم لو يُعمَّر ألف سنة لما سَئِم أو لما كره، فلمَّا كان مضمون شرط (لو) ومضمون مفعول (يودُّ) واحدًا استغنوا بفعل الشرط عن مفعول الفعل، فحذفوا المفعول، ونُزِّل حرف الشرط مع فعله منزلة المفعول؛ فلذلك صار (لو) مع جملة الشرط في قوَّة المفعول في

المعنى، فصار فعل الشرط مؤوَّلًا؛ ولذلك صار حرف (لو) بمنزلة (أنْ) المصدريَّة؛ نظرًا لكون الفعل الذي بعدها صار مؤوَّلًا بمصدر، ولغلبة هذا الاستعمال، وشيوع هذا الحذف بعد الفعل (يودُّ) – وقد يلحق به ما كان في معناه من الأفعال الدَّالة على المحبَّة والرَّغبة – ذهب بعض النَّحويِّين إلى أنَّ (لو) تُستَعمَل حرفًا مصدريًّا في هذا الموضع[37].

الموضع الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] .

جرى خلاف بين المعربين حول الواو في (والراسخون). فذهب بعضهم إلى أنَّ الواو استئنافيَّة، فتكون جملة (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) مبتدأ وخبرًا مستقلَّين، ويكون الوقف التامّ على لفظ الجلالة (الله)، أي أنَّ تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله وحده، أمَّا الرَّاسخون في العلم فمُهمَّتُهم التسليم والإيمان من دون الخوض في التأويل. وذهب بعضهم إلى أنَّ الواو في (والراسخون) عاطفة، فيكون قوله: (والرَّاسخون) معطوفًا على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله الرَّاسخون في العلم أيضًا [38].

وَينقل الشّنقيطيّ هنا عن ابن قدامة أنَّ فِي الْآيَةِ إشارات تَدُلُّ عَلَى أنّ الواو استئنافيَّة لا عاطفة، ومن الإشارات التي ذكرها ولها علاقة بالسِّياق، الآتي [39]:

الأولى: أنَّه لو أراد عطف الرَّاسخين لقال: ويقولون آمنا به، بالواو.

الثانية: أنَّ في سياق الآية ذمًّا لمبتغي التأويل، ولو كان ذلك للرَّاسخين معلومًا لكان مبتغيه ممدوحًا لا مذمومًا.

الثالثة: أنَّ قولهم: آمنَّا به، يدلُّ على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه، ولا سيمَّا إذا تبعوه بقولهم: كلٌّ مِن عند ربنا، فذِكْرُهم ربَّهم هاهنا يُعطي الثقة به والتسليم لأمره.

الرَّابعة: أنَّ لفظة (أمَّا) لتفصيل الجمل، فذِكْرُه لها مع القسم الأوَّل في الذين في قلوبهم زيغ، مع وصفه إياهم باتِّباع المتشابه وابتغاء تأويله، يدلُّ على قسم آخر يخالفهم في هذه الصِّفة، وهم الرَّاسخون، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأوَّل في ابتغاء التأويل.

الخامسة: دلالة الاستقراء في القرآن، فإنَّ الله تعالى إذا نفى عن الخلق شيئًا وأثبته لنفسه، أنَّه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك، كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 65] وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]. وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]. فالمطابق لذلك أنْ يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 7] معناه: أنَّه لا يعلمه إلا هو وحده، ولو كانت الواو في قوله: (والراسخون) للنَّسق لم يكن لقوله : ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:7] فائدة.

فيستدل الشِّنقيطيّ هنا أوَّلًا بسياق الآية للدَّلالة على قوَّة هذا القول، فالسِّياق السابق يدل على المعنى في السِّياق اللاحق، ثم يستدل في الوجه الأخير بالسِّياق العامّ للنَّصِّ القرآنيّ، إذ ورد هذا المعنى في سياقات أخرى مشابهه لهذا السِّياق، ممَّا يدلُّ على المراد، وأنَّ القرآن لا يفرِّق في أساليبه بين المتماثلات.

الموضع الخامس : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12]

يذكر الشّنقيطيّ في هذه الآية أنَّ (لا) صلة، والمعنى: ما منعك أنْ تسجد. في حين يرى بعضهم أنَّ (لا) ليست بصلة؛ بحجَّة أنَّ "المنع فيه طرف من القول والدعاء، فكأنَّه قال: مَن قال لك ألَّا تسجد؟ أو مَن دعاك إلى ألَّا تسجد؟ كما تقول: قد قلت لك ألَّا تفعل كذا" [40].

وَيرجِّح الشِّنقيطيُّ القول الأوَّل، فيقول: "لأنَّ المراد: ما منعك أنْ تسجد إذ أمرتك. بدليل قوله في القصَّة بعينها في سورة (ص): ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:75] . فحَذْفُ لفظة (لا) في (ص) مع ثبوتها في (الأعراف)، والمعنى واحد. فدلَّ ذلك على أنَّها مزيدة للتَّوكيد" [41]، فيستدلُّ الشِّنقيطيّ هنا على ترجيحه لهذا القول بسياق القصة.

ثم يستدلُّ كذلك بالسِّياق العامّ للقرآن الكريم، فيرى أنَّ زيادة لفظة (لا) في الكلام الذي فيه معنى الجحد لتوكيده مطردة. كقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النساء: 65] ، أي فوربّك لا يؤمنون، وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109] على أحد القولين، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: 151] على أحد الأقوال فيها، وقوله: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: 95] على أحد القولين، وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: 34] أي: والسيئة، وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29] . أي: ليعلم أهل الكتاب [42] .

ويعلِّل الشِّنقيطيّ صلة (لا) في هذه المواضع فيقول: "(لا) هنا صلة، وهي على عادة العرب؛ فإنَّها ربَّما لفظت بلفظة (لا) من غير قصد معناها الأصلي، بل لمجرَّد تقوية الكلام وتوكيده"[43]، وبالنَّظر في سياق كلّ من السُّورتين يتبيَّن سبب زيادة (لا) في الأعراف، دون سورة (ص) من وجوه، هي[44]:

1- أنَّ التوكيد في سورة الأعراف بقوله: (ولقد خلقناكم) بمؤكدين هما اللام و (قد)، وهي بخلاف القصَّة في (ص) فإنَّها تبدأ بقوله: (وإذ قلنا). بل المؤكِّدات في قصَّة الأعراف أكثر منها: (لقد)، وزيادة (لا)، (إنَّك من الصَّاغرين) (إنَّك من المنظرين)، (لأقعدنَّ) (لآتينَّهم) (لأملأنَّ جهنّم منكم أجمعين)، (وقاسمهما إنّي لكما لمن النَّاصحين) فناسب ذلك المجيء بـ (لا) الزائدة المؤكِّدة.

2- مقام السَّخط والغضب في قصَّة الأعراف أكبر، فناسب ذلك الزِّيادة في التَّوكيد والغلظة في القول، ويدلُّ على ذلك أمور، منها:

- أنَّه طوى اسمه فلم يذكره في (الأعراف)، فقال: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] في حين ذكر اسمه في (ص)، فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ ﴾ [ص:75].
- صيغة الطَّرد في الأعراف: ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:13] فقد كرَّر الطَّرد مع الصَّغار، (فاهبط) (فاخرج إنك من الصَّاغرين)، وكرَّر الطَّرد مرَّة أخرى، قائلًا: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ ﴾ [الأعراف:18]. وليس كذلك في سورة (ص)، فإنَّه قال: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص: 77-78].
- ويدلُّ عليه أيضًا عدم التبسُّط مع إبليس في الكلام، بخلاف آيات (ص)، وإنَّ عدم التبسُّط في الكلام مما يدلُّ على السُّخط الكبير، فقال في الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12]. وقال في (ص): ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: 38]، وقال في (الأعراف): ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف: 15]، وقال في (ص): ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾ [ص: 80 - 81] فزاد الفاء، وزاد إلى يوم الوقت المعلوم. وقال في (الأعراف): ﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الأعراف: 14]، وقال في (ص): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [ص:79]، فزاد (ربِّ) والفاء. فإنَّه لمَّا كان المقام مقام تبسُّط في الكلام، تبسَّطَ هو أيضًا، بخلاف آية الأعراف، فإنَّه لما كان مقام سخط كبير حَذَف التبسُّط، وجعل الكلام على أوجز صورة، ولكل مقام مقال.
- ثم إنَّ القصَّة في سورة (الأعراف) أطول ممَّا هي في سورة (ص)، فوافق ذلك زياد (لا) أيضًا فيها من دون سورة (ص).

الموضع السادس: في قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: 64].

ينقل الشِّنقيطيُّ هنا قولين في إعراب (ومن اتَّبعك) (45):

القول الأوَّل: أنَّه في محل رفع بالعطف على اسم الجلالة، أي: حسبك الله، وحسبك أيضًا مَن اتَّبعك مِن المؤمنين.

القول الثاني: هو في محل خفض بالعطف على الضمير الذي هو الكاف، في قوله: حسبك، وعليه فالمعنى: حسبك الله، أي: كافيك وكافي مَن اتَّبعك مِن المؤمنين.

ويختار الشّنقيطيُّ القول الثاني؛ بحجَّة أنَّ "الآيات القرآنيّة تدلُّ على تعيين الوجه الأخير، وأنَّ المعنى كافيك الله، وكافي مَن اتَّبعك مِن المؤمنين؛ لدلالة الاستقراء في القرآن على أنَّ الحَسْب والكفاية لله وحده، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة: 59] ، فجعل الإيتاء لله ورسوله، كما قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر: 7]، وجعل الحَسْب له وحده، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعل الحَسْب مختصًّا به، وقال: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: 36] فخصَّ الكفاية التي هي الحسب به وحده"[46]، وواضح من كلامه استدلاله بسياقات القرآن في هذا المعنى، وهو المناسب هنا، فالحَسْب والكفاية لله وحده، كالتوكُّل والتَّقوى والعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: 62]. ففرَّق بين الحَسْب والتأييد، فجعل الحَسْب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكُّل من عباده حيثُ أفردوه بالحَسْب، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: 173] ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، فإذا كان هذا قولَهم، ومَدْحَ الربِّ تعالى لهم بذلك، فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حَسْبُك؟ وأتْباعُه قد أفردوا الربَّ تعالى بالحَسْب، ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه، فكيف يُشرِك بينهم وبينه في حَسْب رسوله؟! وإذا لم يَجُزْ أنْ يكون الله ورسولُه حَسْبَ المؤمن، فكيف يكونُ المؤمنون مع اللهِ حَسْبًا لِرَسولِه؟ هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل [47].

الموضع السابع: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ [آل عمران: 146]

هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وردت فيها قراءات، وحَسْبُنا هنا ما يتعلَّق ببحثنا، وهي قراءة من قرأ (قُتِلَ) بالبناء للمفعول[48]، وعَلَى هذه القراءة يَنقُل لنا الشّنقيطيُّ وجهين من الإعراب في نائب الفاعل لهذا الفعل (قُتِلَ)، فيقول: "يُحتَمَل نائب الفاعل فيها أنْ يكون لفظة (رِبِّيُّون)، وعليه فليس في (قُتِلَ) ضمير أصلًا، ويحتمل أن يكون نائب الفاعل ضميرًا عائدًا إلى النَّبيّ، وعليه فـ(معه) خبر مقدم، و(رِبِّيُّون) مبتدأ مؤخر، سوَّغ الابتداء به اعتماده على الظَّرف قبله، ووَصْفُه بما بعده، والجملة حاليَّة، والرَّابط الضَّمير، وسوَّغ إتيان الحال من النَّكرة الَّتي هي (نبيٍّ) وصفه بالقتل ظلمًا"[49].

وبعد نَقْلِه لهذين الوجهين المحتملين في نائب الفاعل، أشار إلى أنَّ الأقرب أنْ تكون لفظة (رِبِّيُّون) هي نائب الفاعل، واحتجَّ على ذلك بأنَّ "الآيات القرآنيّة مبيّنة أنَّ النَّبيَّ المقاتِل غير مغلوب بل هو غالب، كما صرَّح

تعالى بذلك في قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: 21] ، وقال قبل هذا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: 20]، وقال بعده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] وأغلب معاني الغلبة في القرآن الغلبة بالسيف والسنان، كقوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: 65]، وقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: 66]، وقوله: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: 40]، وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾ [البقرة: 249] ، وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: 12]، إلى غير ذلك من الآيات..

وبيّن –تعالى– أن المقتول ليس بغالب، بل هو قسم مقابل للغالب بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [النساء: 74]" [(50)].

فهذه السِّياقات كلها تشهد بأن القتل ليس واقعًا على النَّبيّ المقاتِل؛ لأنَّ الله تعالى كتب وقضى في أزله أنَّه غالِبٌ، وصرَّح بأنَّ المقتول غير غالب.

وهذا هو الذي يتوافق مع المقام ومعنى الآية؛ لأنَّ غلبة الأنبياء على قسمين:

الأوَّل: غلبة بالحجة والبيان.

الثاني: غلبة بالسيف والسنان.

والغلبة الأوَّلى ثابتة لجميع الأنبياء، أمَّا الثانية فهي ثابتة لخصوص الأنبياء الذين أُمِروا منهم بالقتال في سبيل الله تعالى؛ لأنَّ من لم يُؤمَر بالقتال ليس بغالب ولا مغلوب؛ لأنَّه لم يغالِب في شيء.

وبيَّن الشّنقيطيّ أنَّ نَصْرَ الرُّسل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: 171-172] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:51] أنَّه نَصْرُ غلبةٍ بالسَّيف والسِّنان للذين أُمِروا منهم بالجهاد؛ لأنَّ الغلبة التي بيَّن الله تعالى أنَّه كَتَبها لهم أخصُّ مِن مُطلَقِ النصر؛ لأنَّها نصرٌ خاصٌّ، والغلبة لغة: القهر، والنصر لغة: إعانة المظلوم، فيجب بيان هذا الأعمّ بذلك الأخصّ.

وقد صرَّح الله تعالى بأنَّ ما وَعَد به رُسُلَه لا يُمكِن تبديله بقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟﴾ [الأنعام: 34]، ولا شك أنَّ قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: 21] مِن

كلماته التي صرَّح بأنَّها لا مبدِّل لها، وقد نفى جلَّ وعلا عن المنصور أنْ يكون مغلوبًا نفيًا باتًّا بقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: 160].

ويذكر الشِّنقيطيّ سياقًا خارجيًّا يؤيِّد ما ذهب إليه، فيقول: "وذكر مقاتل أنَّ سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: 21] أنَّ بعض الناس قال: أيظنُّ محمَّد وأصحابُه أنْ يَغلِبوا الرُّومَ وفارس كما غلبوا العرب؟ زاعمًا أنَّ الرُّوم وفارس لا يغلبُهم النَّبيّ – صلى الله عليه وسلم – لكثرتهم وقوَّتهم، فأنزل الله الآية، وهو يدلُّ على أنَّ الغلبة المذكورة فيها غلبة بالسَّيف والسِّنان؛ لأنَّ صورة السبب لا يمكن إخراجها، ويدلُّ له قوله قبله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: 20]، وقوله بعده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: 21]" [51]، وهذا سياق خارجي غير لغوي، إذ سبب النزول يُعَدُّ من السِّياقات غير اللغويَّة.

ومن السِّياقات التي يستشهد بها الشّنقيطيّ في الاحتجاج أحيانًا القراءة الشَّاذَّة، وفي هذا السِّياق يقول: "وقد قدَّمنا في ترجمة هذا الكتاب أنَّنا نستشهد للبيان بالقراءة السبعيَّة بقراءة شاذَّة، فيشهد للبيان الذي بيَّنَّا به، أنَّ نائب الفاعل (رِبِّيُّون)، وأنَّ بعض القرَّاء غير السبعة قرأ (قُتِّل معه رِبِّيُّون) بالتشديد؛ لأنَّ التكثير المدلول عليه بالتَّشديد يقتضي أنَّ القتل واقع على الرِّبِّيِّين لا على النَّبيّ" [52].

الموضع الثامن: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَا﴾ [الأنعام: 157].

يذكر الشّنقيطيّ في الفعل (صدف) في هذه الآية قولين للعلماء[53]: فيرى بعضهم أنَّ هذا الفعل لازم، ومعناه: أعرض عنها، وهو مرويٌّ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

وَيرى السُّدّي: أنَّ (صدف) في هذه الآية متعدٍّ للمفعول، والمفعول محذوف، والمعنى: أنَّه صدَّ غيره عن اتِّباع آيات الله.

ويرجِّح الشّنقيطيّ قول السّدي، فيقول: "والقرآن يدلُّ لقول السّديّ؛ لأنَّ إعراض هذا الذي لا أحد أظلم منه عن آيات الله، صرَّح به في قوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 157]؛ إذ لا إعراض أعظم من التكذيب، فدلَّ ذلك على أنَّ المراد بقوله (وصدف عنها): أنَّه صدَّ غيره عنها، فصار جامعًا بين الضَّلال والإضلال" [54].

فسياق الآية هو الفيصل في اختيار هذا القول، وهناك سياقات أخرى تدلُّ على ذلك، ومنها ما ذكره ابن كثير حين قوَّى هذا القول، فقال: "وقول السّديّ هاهنا فيه قوَّة؛ لأنَّه قال: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَا﴾ [الأنعام: 157] كما تقدَّم في أول السُّورة ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الأنعام : 26]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ

﴿ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل : 88] ، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۚ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157]" [55].

وهذا يتوافق مع المعنى العامّ للآية؛ إذ لوكان الفعل (صدف) لازمًا فيكون بمعنى أعرض، والإعراض يتضمَّنه التكذيب، فيمكن أنْ يُستَغنَى عنه بقوله في الآية نفسها: (كذَّب)؛ إذ لا إعراض أعظم من التكذيب.

وابتدأ الله تعالى هذه الآية بالاستفهام الإنكاري (ومن أظلم...) الذي يُفيدُ النَّفي مع التَّوبيخ؛ أي: لا أحد أظلم ممَّن كذَّب بآيات الله تعالى، وصَدَف عنها؛ إذ ارتكب ظلمين فاحشين:

أولهما: أنَّه كذَّب بآيات الله تعالى الدَّالة على كمال ربوبيَّته ووحدانيَّته، وإنَّ ذلك ظلمٌ وكفرٌ وضلال.

ثانيهما: أنَّه صَدَف عنها، أي: أعرض عنها إعراضًا شديدًا، فانصرف عنها، وعَمِل على أنْ يَصرِف غيره عنها، إذ يُطلَق الفعل (صدف) بمعنى: صرف غيره كما في القاموس[56]. وأصله التعدية إلى المفعول بنفسه، وإلى الثاني بـ(عن)، يقال: صدفت فلانًا عن كذا ، كما يقال: صرفته، وقد شاع تنزيله منزلة اللازم حتى غلب عدم ظهور المفعول به، فالصَّدَف إذن الانصراف عنها، وصرف الناس عنها بتضليلهم، وإيذاء المهتدين لحَمْلِهم على الضَّلال والفساد، والتحريض على ضِعاف المؤمنين، وإيجاد رأيٍ عامٍّ ضالٍّ مُضِلٍّ.

ولقد أنذر الله تعالى في هذه الآية كذلك الذين أعرضوا عن الحق، ودَعَوُا الناس إلى الإعراض، وآذَوا مَنْ لم يُعرِض عنه، وسَلَك سبيلَ المؤمنين، فقال تعالت كلماته: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157] فـ(السين) هنا لتأكيد الوقوع في المستقبل، وعبَّر بالسين الدَّالة على قرب الوقوع المؤكَّد للدلالة على قرب الوقوع وتأكُّده، وكلُّ آتٍ قريبٌ ما دام مؤكَّدَ الوقوع.

وأسند سبحانه الجزاء إلى ذاته العليَّة، لتأكُّد وقوعه؛ فإنَّ الله لا يخلف الميعاد عذابًا أو ثوابًا. وعبَّر سبحانه وتعالى عن الظالمين بالاسم الوصول، وهو إشعار بأنَّ الصِّلة هي السَّبب في هذا الجزاء الشديد، الذي وصفه سبحانه بأسوأ العذاب، أي: عذاب وَقْعُه يسوؤهم، ويؤلمهم، وهو في ذاته سوء، لا يكون إلا لمن تكون عاقبته السُّوْأى، ولمن كان يفعل ما يَسُوء، ويكفر بالله تعالى، وذكر سبحانه السبب في هذا العذاب الذي هو سوء في ذاته، فقال: (بما كانوا يصدفون)، أي: بسبب استمرارهم على الصَّدف بإعراضهم، وحَمْلِ الناس على أنْ يُعرضوا عن سبيل الله سبحانه وتعالى[57].

كلُّ هذه السِّياقات في الآية تدلُّ على أنَّ الصدف: الإعراض عن الحقِّ وصَرْف الناس عنه.

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل: 88]

بيَّن الشِّنقيطيّ أنَّ الفعل (صدَّ) له استعمالان في اللُّغة، فقال: "اعلم أوَّلًا أنَّ (صدَّ) تستعمل في اللُّغة العربيَّة استعمالين، أحدهما: أنْ تُستَعمَل متعدية إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾... الآية [الفتح: 25] ، ومضارع هذه المتعدية: (يصُدّ) بالضم على القياس، ومصدرها (الصَّد) على القياس أيضًا. والثاني: أنْ تُستَعمَل (صدَّ) لازمة غير متعدية إلى المفعول، ومصدر هذه (الصدود) على القياس، وفي مضارعها الكسر على القياس، والضمُّ على السَّماع، وعليهما القراءتان السبعيَّتان في قوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:57]"[58].

ثم تعرَّض لما جاء في هذه الآية، وبيَّن أنَّ الفعل هنا "محتمل لأنْ تكون (صدَّ) متعدية، والمفعول محذوف لدلالة المقام عليه، على حد قوله في الخلاصة:

وَحَذْفَ فَضْلَةٍ أَجِزْ إِنْ لَمْ يَضِرْ كَحذْفِ مَا سِيقَ جَوَابًا أَوْ حُصِرْ

ومحتمل لأنْ تكون (صدَّ) لازمة غير متعدية إلى المفعول"[59].

ورجَّح أنَّ الفعل (صدَّ) هنا متعدٍّ، والمفعول محذوف، وأشار إلى ثلاث قرائن في سياق الآية نفسها يدلُّ على ذلك:

القرينة الأولى: "أنا لو قدَّرنا (صدَّ) لازمة، وأنَّ معناها: صدودهم في أنفسهم عن الإسلام؛ لكان ذلك تكرارًا من غير فائدة مع قوله: (الذين كفروا)، بل معنى الآية: كفروا في أنفسهم، وصدُّوا غيرهم عن الدِّين فحَمَلُوه على الكفار أيضًا"[60]، فحتى لا يتكرر المعنى، أو لا تكون هناك فائدة جديدة؛ إذ الكفر يدلُّ على الصُّدود والإعراض، فناسب إذن أنْ تكون (صدَّ) هنا متعدِّية حتى تكشف معنى جديدًا، وهو أنَّ هذا الكافر أعرض وصدَّ الناس عن هذا الدِّين، وبناء الكلام على التأسيس أولى من بنائه على التأكيد والترادف.

القرينة الثانية: "قوله تعالى: (زدناهم عذابا فوق العذاب)، فإنَّ هذه الزيادة من العذاب لأجل إضلالهم غيرهم. والعذاب المزيد فوقه: هو عذابهم على كفرهم في أنفسهم، بدليل قوله في المضلِّين الذين أضلُّوا غيرهم: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾... الآية [النحل: 25]، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: 13] ... الآية"[61].

القرينة الثالثة: "قوله: (بما كانوا يفسدون)، فإنَّه يدلُّ على أنَّهم كانوا يُفسِدون على غيرهم مع ضلالهم في أنفسهم"[62]، والباء في (بما كانوا يفسدون) للسببيَّة، والمراد: إفسادهم الراغبين في الإسلام بتسويل البقاء على الكفر[63]. فالشّنقيطيّ هنا يستعين بسياق الآية وما فيه من قرائن، تدل على ترجيح ما ذهب إليه، ويربط ذلك بالمعنى الذي يتوافق مع هذا السِّياق.

الموضع العاشر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 99-100]

اختلف المفسِّرون في الضَّمير في (به) مِن قولِه: (والذين هم به مشركون)، على أيِّ شيء يعود؟، منهم مَن قال: يعود على الله سبحانه، أي والذين هم بالله مشركون.

ومنهم مَن قال: الضَّمير يعود على الشَّيطان[64].

وَيستظهر الشّنقيطيّ القول الثاني، فـ "الضَّمير عائدٌ إلى الشَّيطان لا إلى الله. ومعنى كونِهم مشركين به: هو طاعتهم له في الكفر والمعاصي"[65].

ويستدل الشِّنقيطيّ على ذلك بالآيات الَّتي فيها التحذير من عبادة الشيطان، كقوله تعالى عَنْ إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾... [مريم: 44] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 60] إلى غير ذلك من الآيات [66].

وعلى هذا القول تكون الباء سببيَّة، والمعنى: بسببه، وهذا كما تقول للرجل إذا تكلم بكلمة مؤدِّية إلى الكفر: كَفَرتَ بهذه الكلمة، أي: من أجْلِها، فكذلك قوله: (والذين هم به مشركون) أي: من أجْلِه، ومِن أَجْلِ حَمْلِه إياهم على الشرك بالله صاروا مشركين.

فرجَّح الشّنقيطيّ ذلك لدلالة السِّياق عليه؛ ويزاد على ذلك[67]:

- أنَّ الضَّمائر السَّابقة عائدة إلى الشَّيطان، وليس من مانع يمنع حَمْلَ هذا الضمير على الشيطان، فكان أظهر للتَّناسق، فرجَّح بعضهم هذا القول لاتِّحاد الضَّمائر فيه مع تبادره إلى الذِّهن، فتأمَّل ما قبله من ضمائر (إنَّما سلطانه) أي: الشيطان، (على الذين يتولَّونه) أي: الشيطان، (والذين هم به مشركون) يكون الضمير عائدًا إلى الشيطان، حتى تتوحد الضمائر، وتوحيد الضمائر أولى من تفريقها إذا لم يوجد هناك مانع.
- كذلك جاء تقديم الجار والمجرور (به) على (مشركون)؛ للدلالة على الحصر، أي: ما أشركوا إلَّا بسبب غواية الشيطان.
- وجاء التعبير بالاسم وليس بالفعل في قوله: (مشركون)؛ لأنَّ الاسم يدلُّ على الثبوت والدوام، والنكتة في هذا أنَّ الشيطان لم يُضِلَّ الكفار ليمارسوا الشرك أحيانًا، بل اجتهد عليهم حتى احترفوا الشِّرك، فصار المعنى: وما احترف الكفَّار الشِّرك احترافًا إلا بسبب الشَّيطان.

الموضع الحادي عشر: في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: 10]

اختلف معربو القرآن في إعراب كلمة (السُّوأَى) [68]: منهم مَن جعلها معمولةً للفعل (كان)، ومنهم مَنْ جعلها معمولةً للفعل (أساءوا)، ويرجّح الشّنقيطيُّ القولَ الأوَّل، ويرى أنَّ (السُّوأى) إما اسم (كان) على قراءة مَنْ فَتَحَ التاء في (عاقبة)، وإمَّا خبرها على قراءة من ضَمَّ التاء في (عاقبة) [69]، ويرى أنَّ القول الثَّاني غير صواب، فيقول: "وبما ذكرنا تعلم أنَّ قول مَن قال: إن (السُّوأَى) منصوب بـ(أَسَاءُوا)، أي: اقترفوا الجريمة السُّوأى خلاف الصَّواب"[70]؛ لأن المعنى: كانت عاقبة المسيئين السُّوأى، والسُّوأى: هي تأنيث الأسوأ، أي: كانت عاقبتهم العقوبة، التي هي أسوأ العقوبات، أي: أكثرها سوءًا وهي النار.

وقد استدلَّ الشّنقيطيُّ على هذا التَّرجيح بجملة من السِّياقات القرآنيَّة، فقال: "وهذا المعنى تدلُّ عليه آيات كثيرة توضِّح أنَّ الكفر والتَّكذيب، قد يؤدِّي شؤمه إلى شقاء صاحبه، وسوء عاقبته، والعياذ بالله، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: 5]، وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: 10]، وقوله: ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النساء: 155]" [71].

ويُزاد على ذلك أنَّ سياق الآيات في هذه السُّورة هو خير شاهد على المعنى. إذا تابعنا قراءة الآيات التي تلي هذه الآية، نجد المقابلة الواضحة بين مصير المسيئين ومصير المحسنين: فعاقبة المسيئين: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: 10]، وعاقبة المحسنين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ [الروم: 15]. هذا المقابلة الصَّريحة في السِّياق نفسه تدلُّ بقوَّة على أنَّ (السوأى): هي النَّار، فهي مقابل (روضة)، فكما أنَّ الجنَّة هي أعلى الدرجات وأحسن العاقبة، فإنَّ النَّار هي أسوأ العاقبة.

ومن المقابلات القرآنيَّة التي تؤكِّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [الرعد: 26]، في مقابل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: 10]، فالسُّوأى: على زِنَة (فُعلى) من السُّوء، تأنيث: الأسْوَأ؛ وهو الأقبح، كما أنَّ الحُسنى تأنيث الأحسن، والحسنى: هي الجنَّة والنَّعيم، فكذلك السُّوأى: هي النَّار والعذاب. ويشهد لذلك أيضًا تفسير الصَّحابي ابن عباس – رضي الله عنهما–، إذ قال: "أساءوا: هنا بمعنى: كفروا، و(السُّوأى): هي النار"[72].

فهنا نَجِدُ أنَّ الأدلة تضافرت على ترجيح قول مَنْ قال: إنَّ (السُّوأى) هنا: النَّار، وليست مصدرًا معمولًا للفعل (أساءوا)، وكان السِّياق القرآنيُّ في الآيات الواردة بعدها، أو في نظائرها، خيرَ دليلٍ على ذلك، وزيادة على ذلك تفسير الصَّحابي.

الخاتمة:

بعد هذا الطَّواف مع العلَّامة الشّنقيطيّ في تفسيره النافع (أضواء البيان) والوقوف على اختياراته، وعنايته بالقرآن الكريم، ظهرت جملة من النتائج، وهذا عَرْض لأبرزها:

- قوَّة أثر السِّياق في التَّرجيح بين أقوال النَّحويين، واختيار القول الأقرب منها؛ لأنَّ الله –تعالى– أعلم بمراده من كلامه، وتفسيرُ القرآن بالقرآن هو أعلى مراتب التفسير، ولم يخالف أحدٌ في ذلك، ومن هنا نجد أنَّ أوَّل أساس يَبنِي عليه الشّنقيطيُّ ترجيحاته في مسائل الخلاف هو السِّياق القرآنيّ.
- قوَّة أثر السِّياق في الدلالة، فالمعنى يبقى أحيانًا مستورًا حتى يكشفه السِّياق، وأحيانًا تتضارب الأقوال وتتعدَّدُ في الآية الواحدة وبنظرةٍ في السِّياق يبدو القول الأقرب جليًّا واضحًا.
- عدم اقتصار الشّنقيطيّ في اختيار الأقوال على مرجِّح واحد في الغالب، بل يحشُد الأدلَّة والقرائن المرجِّحة من النُّصوص الشّرعيَّة، والعلوم اللغويَّة، والقواعد الأصوليَّة، مما يدلُّ على سَعَة عِلمِه وتفنُّنه.
- ظهور مفهومِ السِّياق القرآنيّ عند العلَّامة الشِّنقيطيّ واسعًا ليشمل السِّياق الداخليَّ والخارجيَّ، وسياق الآية والسُّورة والقصة والسِّياق العامّ، ويكشف هذا استحضاره العجيب لهذه السِّياقات المتنوِّعة، وحَشْدها في بعض المواضع.
- مراعاة الشّنقيطيِّ في اختياراته المعنى الذي يتوافق مع القرآن الكريم وعظمته، فلا يرجِّح قولًا على آخر إلَّا وهو يدرك المعنى الذي يؤدي إليه ذلك التَّرجيح، وقد يترك التَّرجيح؛ لأنَّ كِلا المعنيين متناسبان أو بينهما تلازم، فليس همُّه استيعاب كلِّ قولٍ قِيل في الآية أو كلِّ وجه تحتمله.
- حضور السِّياق الخارجيّ في ترجيحات الشِّنقيطيّ واختياره للأقوال النَّحويَّة، فنجده أحيانًا يرجِّح بسبب النزول، وأسباب النزول تُعَدُّ من أنواع السِّياق الخارجيِّ للقرآن الكريم.

هذا ويوصي البحث بالتوسع والدقة في دراسة السياق عند المفسرين وربطه بالجانب اللغوي عامة والنحوي خاصة، وبالاهتمام بتفسير الشنقيطي (أضواء البيان) وكشف منهجه اللغوي في تفسيره، ودراسة أنواع السياق ولا سيما الخارجي وأثرها في التفسير والاختيار.

الهوامش:

(1) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 2001م. (185/9)

(2) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م. (117/3)

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3 – 1414 هـ (166/10)

(4) الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1419 هـ – 1998 م. (484/1)

(5) حسان، تمام، قرينة السياق، بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب سنة 1413 هـ 1993م. ص (375)

(6) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1992م، ص 62

(7) محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية نقدية، دار وائل، الأردن، 2008، ص15

(8) المطيري، أحمد لافي، دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي دراسة موضوعية تحليلية ص (14)

(9) الشهراني، سعد محمد، السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، كرسي القرآن وعلومه، جامعة الملك سعود، ط1، 1436هـ، ص 29

(10) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،1417هـ/ 1997م، (266/4)

(11) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (9/4)

(12) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395 هـ – 1975 م، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون (327/5) برقم (3175)

(13) ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1407هـ – 1987م، ص(161)

(14) ابن جزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416 هـ، (19/1)

(15) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، (94/15)

(16) ينظر: حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ص159، وبلبع، عيد، السياق وتوجيه دلالة النص، دار بلنسية، مصر، 1439-2008، ص(130-131)

(17) ينظر: بودرع، عبدالرحمن، منهج السياق في فهم النص، ص29

(18) ينظر: بوجلال، وليد، السياق في الدراسات القرآنية، مجلة النص، المجلد (8) العدد (1)، السنة 2022م، ص 84.

(19) ينظر: منهج السياق في فهم النص، ص29.

(20) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت – لبنان،1415 هـ – 1995 م (10/1)

(21) نفسه (10/1) و(98/1)

(22) نفسه .

(23) نفسه (10/1)

(24) الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م، (236/7)

(25) نفسه (17/1- 18)

(26) نفسه (286/5)

(27) نفسه (12/1)

(28) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ، (52/1)

(29) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984 هـ، (255/1)

(30) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت،1414 هـ، (46/1)

(31) أضواء البيان (39/1)

(32) ينظر: نفسه (793/5)

(33) ينظر: المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ص (681/1)

(34) البيت ينسب لامرئ القيس، وفي ديوانه : وجدّك لو شيء .. ينظر: الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر، ديوان امرِئ القيس تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1425 هـ - 2004م، ص (126)

(35) أضواء البيان (41/1)

(36) ينظر: ابن قاسم المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن، الجنى الداني، لابن قاسم المرادي، ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413 هـ - 1992 م (288)

(37) ينظر: التحرير والتنوير (1/ 618)

(38) ينظر: أضواء البيان (191/1)

(39) ينظر: نفسه.

(40) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية1423 هـ- 2003 م، (170/7)

(41) أضواء البيان (89/4- 90)

(42) ينظر: نفسه (89/4- 90)

(43) نفسه (111/6)

(44) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1439-2018، ص (351-354)

(45) ينظر: أضواء البيان (104/2)

(46) نفسه (104/2)

(47) ُ نظر: محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ -1994م (37/1- 38)

(48) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم القاف وكسر التاء ولا ألف بين القاف والتاء، وقرأ الباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما. ينظر: ابن مجاهد، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1400هـ، ص (217)

(49) أضواء البيان (210/1)

(50) نفسه (210/1)

(51) ينظر: نفسه (212/1)

52) نفسه.

(53) ينظر: نفسه (548/1)

(54) نفسه

(55) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م، (370/3)

(56) ينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م (826/1)

(57) ينظر: أبو زهرة، مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (2750/5)

(58) أضواء البيان (425/2)

(59) نفسه.

(60) أضواء البيان (425/2)

(61) نفسه (426/2)

(62) نفسه.

(63) ينظر: التحرير والتنوير (249/14)

(64) قاله مجاهد والضحاك ينظر: الجامع لأحكام القرآن (176/10)

(65) أضواء البيان (444/2)

(66) ينظر: نفسه.

(67) ينظر: الآلوسي، أبو الثناء محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ (466/7)

(68) ينظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة : الثانية ، 1405هـ، (560/2)

(69) قَرَأَ ابن كثير وَأَبُو عَمْرو وَنَافِع (ثمَّ كَانَ عقبَةُ الَّذين) رفعًا، وَقَرَأَ عَاصِم وَابن عَامر وَحَمْزَة والكسائيّ (ثمَّ كَانَ عقبَةَ الَّذين) نصبًا. ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ص (506)

(70) أضواء البيان (535/6)

(71) نفسه.

(72) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ. 1993م، الطبعة: الأولى، (384/4)

المصادر والمراجع

1. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربيَّة السعودية، 1416هـ –1995م.
2. ابن جزي الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ل تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416 هـ.
3. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
4. ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1407هـ – 1987م.
5. ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الأولى، 1413هـ. 1993م.
6. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.
7. ابن قاسم المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن، الجنى الداني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1413 هـ – 1992 م.
8. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. (د.ت).
9. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ –1994م
10. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.
11. ابن مجاهد، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ.

12. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ .
13. أبو زهرة، مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، بدون طبعة.
14. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللُّغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م .
15. الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.
16. أولمان، ستيفن ، دور الكلمة في اللُّغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1992م .
17. بوجلال، وليد، السياق في الدراسات القرآنية، ، مجلة النص، المجلد (8) العدد (1)، السنة 2022م .
18. بلبع، عيد، السياق وتوجيه دلالة النص، دار بلنسية، مصر، 1439–2008م.
19. بودرع، عبدالرحمن، منهج السِّياق في فهم النَّصِّ، سلسلة كتاب الأمة، العدد 111، السنة 26، وزارة الأوقاف، قطر، 1427–2006م.
20. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395 هـ – 1975 م.
21. حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، بدون تاريخ.
22. حسان، تمام، قرينة السِّياق بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب، 1413هـ– 1993م .
23. خليل، حلمي، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، الطبعة الثانية، 1998م.
24. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، 1376 هـ – 1957 م.
25. الزمخشري، محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419 هـ – 1998م .
26. الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ.
27. السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآنيّ، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1439–2018 .
28. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،1417هـ– 1997م.
29. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان،1415 هـ – 1995م.
30. الشهراني، سعد محمد، السِّياق القرآنيّ وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، كرسي القرآن وعلومه، جامعة الملك سعود، ط1، 1436هـ .
31. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،1414 هـ.

32. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م

33. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربيَّة السعودية، 1423، هـ- 2003 م.

34. القيسي، مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ.

35. الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م.

36. الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر، ديوان امرِئ القيس تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1425 هـ - 2004م.

37. محمود، المثنى عبد الفتاح، نظرية السِّياق القرآنيّ دراسة تأصيلية نقدية، دار وائل، الأردن، 2008م .

38. المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

39. المطيري، أحمد لافي، دلالة السِّياق القرآنيّ في تفسير أضواء البيان للعلامة الشِّنقيطيّ دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م .